نحو رؤية إستراتيجية لتطوير العلاقات العربية - الأفريقية

رمضان قرني محمد
مدير تحرير دورية آفاق أفريقية

لمحة تاريخية :

تضرب العلاقات العربية – الأفريقية، بجذورها التاريخية إلى حقبة ما قبل ظهور الإسلام حيث كان المجتمع العربي الجاهلي يزخر ببعض المجموعات الأفريقية التي استقرت بين العرب وانصهرت في بوتقة القبائل العربية عن طريق الولاء والانتماء الكامل، وكان الأحباش (وهم سكان منطقة القرن الأفريقي في الصومال وبلاد الحبشة وإريتريا) أكثر من وفد إلى جزيرة العرب قبل الإسلام.

وتؤكد الشواهد التاريخية، تعدد الصِلات بين العرب والأفارقة سواء من خلال التبادلات التجارية التي كانت تتم بينهم بالإضافة إلى بعض الهجرات الجماعية التي قام بها العرب إلى إفريقيا وكذلك مُصاهرة بعض التجار والمهاجرين العرب للأفارقة،إلا أن دخول الإسلام بقي العنصر الأهم في "تمتين" هذه الصلات[1].

وقد أدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى ازدياد الاتصال العربي الأفريقي، فقد أمد الإسلام العرب بسياج ديني وفكري ساعدهم على خلق وحدة وطنية وعلى ازدهار النهضة الثقافية، وخرج العرب لنشر الدين في الشمال والغرب والشرق، وتمكنوا من نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية. وأدى هذا التطور إلى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة.

وبتجاوز الفترة الاستعمارية، التي شهدت جمود حثيثة من قبل القوى الاستعمارية لقطع الصلات بين العرب وأفريقيا، شهدت فترة الخمسينيات زخما قويا في العلاقات على العديد من المستويات، خاصة بعد حصول الدول العربية

على استقلالها، كما شهدت هذه المرحلة درجة عالية من التنسيق والتضامن في العديد من القضايا من أهمها مكافحة الاستعمار والتخلص من الاحتلال والدعم السياسي الذي قدمته الدول العربية لحركات الاستقلال في أفريقيا.كما شمل هذا التنسيق والتضامن دعم القضايا العربية والأفريقية في أروقة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز.

وإبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ أعربت حكومات الدول الأفريقية المستقلة ومنظمة الوحدة الأفريقية عن تضامنها مع الشعوب العربية، وقد ترجم ذلك في شكل إجراءات قطع جماعي للعلاقات مع إسرائيل. وبانتهاء الحرب بلغ عدد الدول الأفريقية التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل ٢٩ دولة ولم يتبق من الدول الأفريقية الأعضاء في المنظمة سوى أربع دول لها علاقات مع إسرائيل هي مالاوي وموريشيوس وليسوتو وسوازيلاند.

ويمكن القول أن حقبة السبعينيات شهدت تحركات عربية وأفريقية نحو تأطير العلاقات بين الطرفين في إطار مؤسسي، خاصة بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية من خلال:

- إصدار المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٧٣ قرارا خاصا بالتعاون العربي الأفريقي نص على إنشاء لجنة سباعية لإجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق الجامعة العربية لدراسة آثار حظر البترول على الدول الأفريقية.
- إشادة مؤتمر القمة العربي في الجزائر ١٩٧٣ بموقف الدول الأفريقية، واتخذ مجموعة من القرارات والتوصيات في المجالين السياسي والاقتصادي لتدعيم وتنمية التعاون العربي الأفريقي.
- ربط الدول الأفريقية بين حركة التحرر الفلسطينية وحركات التحرر الأفريقية واعتبرت قضية فلسطين قضية عربية أفريقية.
- إصدار مجلس وزراء منظمة الوحدة الأفريقية في فبراير ١٩٧٥ إعلان أديس أبابا الذي أكد فيه أن جوهر مشكلة الشرق الأوسط هو قضية فلسطين.
- إصدار مجلس الجامعة العربية قرارا في أبريل ١٩٧٥ أكد فيه تعاون الدول العربية والأفريقية من أجل تحرير الأراضي الأفريقية من الاستعمار الاستيطاني والتفرقة العنصرية.
- انعقاد مؤتمر القمة العربي الأفريقي الأول ١٩٧٧. وصدر عن المؤتمر أربع وثائق أساسية تغطي الأسس والسندات التاريخية لمجموعة العلاقات العربية الأفريقية كما تحدد مجالات التعاون وأدواته ومؤسساته.

ومع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات شابت العلاقات أزمات ثقة وشكوك متبادلة في نوايا كل طرف تجاه الآخر، ذلك أن تلك الفترة قد شهدت آثار ونتائج اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية. ومن أبرز صور الارتباك في العلاقات في تلك الفترة اتهام الأفارقة للعرب بمحاولة تصدير خلافاتهم إلى الاجتماعات العربية الأفريقية بل إلى اجتماعات منظمة الوحدة

الأفريقية أيضا. وقد طلبت المنظمة في اجتماعاتها وقراراتها المعلنة عدم تدخل السياسات العربية في شؤون القارة الأفريقية، ومن أمثلة ذلك قرار المنظمة عام ١٩٧٨ الذي يطلب عدم التدخل العربي في النزاع بالقرن الأفريقي.

ثم جاءت مرحلة التسعينيات، التي كرست هذه الوضعية، خاصة مع التغيرات التي شهدتها بنيتا النظام الدولي، والنظام الإقليمي العربي، وتغير موازين القوى السياسية والاقتصادية في قارة أفريقيا، وصولا إلى الوضع الراهن، حيث تغلب التحركات الثنائية على العلاقات العربية – الأفريقية، وتغيب إلى حد كبير الفاعلية عن العمل الجماعي باستثناء شقه البروتوكولي على مستوى القمم العربية – الأفريقية القليلة للغاية[٢].

والواقع أن دراسة العلاقات العربية – الأفريقية كانت محل اهتمامات العديد من الخبراء و الباحثين ومراكز البحوث والدراسات المختلفة، خاصة في الألفية الثانية، سواء من خلال الإسهامات المؤسسية للعديد من الجهات مثل: جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الأفريقية- مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا- جامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم، أو الإسهامات الفكرية لرواد الدراسات الأفريقية في العالم العربي .

وانطلاقا من الخبرة التاريخية، تبحث هذه الدراسة في الإشكاليات الراهنة التي تواجه العلاقات العربية الأفريقية على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، وصولا لصياغة رؤية استراتيجية تبحث في تطوير تلك العلاقات، وتأخذ بعين الاعتبار المتغيرات في البيئتين الدولية والإقليمية.

إشكاليات وتحديات تطوير العلاقات العربية - الأفريقية

يواجه تطوير العلاقات العربية – الأفريقية، العديد من الإشكاليات، بعضها يرتبط برواسب الخبرات التاريخية، وأخرى تتعلق بضعف الهياكل التنظيمية لهذه العلاقات، وثالثة تنصرف إلى تدخلات ودور القوى الإقليمية والدولية في إضعاف تلك العلاقات ...

١ - الرواسب التاريخية.. " مزاعم تجارة الرقيق"

تحتل هذه القضية مكانة خاصة في تجربة الإدراك السلبي لدى الدول الأفريقية، في نظرتها للعرب بشكل عام، فقد ازدهرت تجارة الرقيق بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين ونقل خلالها عدد كبير من الأفارقة لاستصلاح الأرض في المنطقة الجنوبية من العراق، كما ارتبطت بشكل أو بآخر تلك المقولات بالتوسع العماني في شرق أفريقيا.

والواقع أن ترويج مقولات "تجارة الرقيق العربية" قد وجدت رواجا في الأدبيات الغربية، لأهداف سياسية في الحقبة الاستعمارية بغرض إضعاف النفوذ العربي والإسلامي في القارة الأفريقية، ومن هنا شاعت بين الكتاب الغربيين مسميات مثل: أفريقيا السوداء وأفريقيا البيضاء..لذلك حرصت تلك الأدبيات على توصيف أفريقيا شمال الصحراء

بصفات: العربية والمسلمة، وجنوبها أفريقي زنجي وثني أو مسيحي، بما يكرس الانقسام الحضاري بين مكونات القارة الأم ..

ورغم فقدان النظريات العنصرية قيمتها العلمية والأدبية، إلا أن البعض من أصحاب تلك النظريات روج لمفاهيم العرب "الساميين" والأفارقة "الحاميين" في القرن التاسع عشر. فضلا عن هذا فإن العرب يرجعون إلى سلالات بشرية متعددة وأجناس شتى. كما أن أفريقيا قد عرفت العرب وتفاعلت العناصر البشرية في جزيرة العرب وأفريقيا قبل الإسلام وبعده، بصورة يصعب معها- علميا وتاريخيا - التمييز بين من كان أصله ساميا ومن كان أصله حاميا، بل يمكن القول أن قارة أفريقيا ينظر إليها باعتبارها "كتلة حضارية" توثقت وامتزجت بها عرى الثقافة العربية والأفريقية بشكل كبير؛ حيث تلاحمت الثقافة العربية الإسلامية تاريخيا مع الثقافات الأفريقية سلميا، وبالقدر الذي أثرت به الثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا فإنها تأثرت بالثقافات الأفريقية[٣].

من جانب آخر، سعت السياسة الإسرائيلية في أفريقيا إلى تغذية مقولات اضطهاد الأفارقة من قبل العرب، حيث أشاعت أن اليهود والأفارقة قد عانوا اضطهادا وتمييزا عنصريا ، وأن المعاناة الإفريقية هى على يد العرب إبان فترة تجارة الرقيق فى إفريقيا . وقد بلور الإسرائيليون هذه الإطروحة فيما يعرف بمشروع "الأخدود الأفريقي العظيم" فى يونيو ٢٠٠٢والذى تم طرحه أمام لجنة التراث العالمي باليونيسكو، وهو مشروع يهدف إلى التعاون الثقافي بين الدول التي تشكل الأخدود الممتد من وادي الأردن حتى جنوب أفريقيا[٤].

في الإطار ذاته، كشفت أزمة دارفور، عن وجود اتجاه قوي يغذي النعرات العنصرية بين العرب وأفريقيا، إلى درجة خروج دعوات تنادي بعودة ذوي الأصول العربية إلى جزيرة العرب، وترك أفريقيا للأفارقة، كما ساهم الإعلام الغربي، بشكل كبير في تصوير النزاع في دارفور بأنه حربٌ بين العرب والأفارقة، لذلك راجت مصطلحات مثل: الجنجويد، والتهجير، والتطهير العرقي، والإبادة الجماعية . كما تم تدعيم هذا التوجه بتدشين جناح لدارفور بمتحف الهولوكست بواشنطن .

يبقى من نافلة القول الإشارة إلى جهود العديد من القيادات الفكرية والسياسية، أمثال سنجور وسيكوتوري ونكروما وكيتا، التي سعت إلى دحض فكرة العنصرية العربية، في إطار دعوتها للوحدة الحضارية العربية – الأفريقية، سواء من خلال دعوات الحركة الأفريقية، أو الجامعة الأفريقية، أو "الأفروعربية". كذلك يمكن اعتبار أحد مقررات قمة سرت العربية الإفريقية ٢٠١٠، والمعني بالاعتذار عن هذه الفترة خطوة مهمة يمكن البناء عليها لتغيير المدركات السلبية الأفريقية عن العرب.

٢ - غياب التنسيق والتخطيط العربي

تكشف متابعة نشاط السياسة العربية – في مجملها- بالقارة الأفريقية عن غياب آليات التنسيق العربي، بحيث أصبحت تتشابه الأدوار إلى درجة المنافسة وغياب التكامل، سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي، كما يفتقر التحرك العربي لغياب آليات تنسيقية تضمن قوته وزخمه أفريقيا ..يؤكد هذا الأمر العديد من الشواهد:

- غياب رؤية عربية موحدة تجاه قضايا القارة الأفريقية(٥).
- تشابه قطاعات ومجالات الاستثمار في الدول الأفريقية.
- التركيز الجغرافي على مناطق بعينها الخليج "في شرق أفريقيا" ، مصر "حوض النيل وشرق أفريقيا" ، المغرب "غرب أفريقيا "، ليبيا "منطقة الصحراء الأفريقية".
- مساهمة المعونات المالية العربية في زيادة المديونية الأفريقية(٦).
- تورط بعض الدول العربية في بعض الصراعات والنزاعات الأفريقية.

٣ - الانعكاسات السلبية للخلافات العربية – العربية

عرفت حقبة نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات أزمات ثقة وشكوك متبادلة بين الطرفين، خاصة عقب توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، ومن أبرز صور الارتباك في العلاقات العربية الأفريقية في تلك الفترة اتهام الأفارقة للعرب بمحاولة تصدير خلافاتهم إلى الاجتماعات العربية الأفريقية بل إلى اجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية أيضا. وقد طلبت المنظمة في اجتماعاتها عدم تدخل السياسات العربية في شؤون القارة الأفريقية (قرار المنظمة عام ١٩٧٨ الذي يطلب عدم التدخل العربي في النزاع بالقرن الأفريقي)(٧).

٤ - غياب الفاعلية عن الهياكل التنظيمية للعلاقات العربية - الأفريقية

تكشف متابعة الأجهزة والمؤسسات المعنية بتنظيم عمل التعاون العربي – الأفريقي، إلى غياب الآليات التنفيذية الناجزة عن هذه المؤسسات، بجانب افتقاد أغلبها للفاعلية وارتباطها بقيادات تاريخية في سياقات زمنية معينة، وتكشف متابعة القمم الثلاث : القاهرة ١٩٧٧، وسرت ٢٠١٠، والكويت ٢٠١٣، عن اتفاق عربي- أفريقي على دعم وتطوير العلاقات بين الطرفين، إلا أنها لم تخرج بنتائج عملية أو توصيات تم ترجمتها على أرض الواقع، وإن كانت قمة الكويت حاولت تلاف هذه المسالب حين ركزت على البعد الاقتصادي في العلاقات، من خلال إقرار استراتيجية الشراكة العربية – الأفريقية.

وقد أسس مؤتمر القمة العربي الأفريقي الأول ١٩٧٧، ركائز العمل العربي- الأفريقي المشترك، حيث صدر عن المؤتمر أربع وثائق أساسية تغطي الأسس والسندات التاريخية لمجموعة العلاقات العربية الأفريقية وهذه الوثائق هي(٨):

- الإعلان السياسي: وحدد الأساس القانوني والسياسي للتعاون العربي الأفريقي والمبادئ التي يستند إليها وهي: الدفاع عن قضايا التحرير الوطني العربي والأفريقي، وتدعيم التعاون الاقتصادي، وتحقيق المزيد من التفاهم بين الشعوب العربية والأفريقية.
- برنامج عمل التعاون العربي الأفريقي: وأهم ما جاء فيه تعهد البلدان العربية والأفريقية بتنمية علاقاتها على المستوى الثنائي والمتعدد الأطراف في الميادين المختلفة، وإنشاء لجنة وزارية مشتركة دائمة لمتابعة التعاون بين الطرفين.
- إعلان التعاون الاقتصادي والمالي العربي الأفريقي.
- الأجهزة والمؤسسات المسؤولة عن وضع إعلان وبرنامج العمل للتعاون العربي الأفريقي موضع التنفيذ وهي:
  - مؤتمر القمة العربي الأفريقي.
  - المجلس الوزاري العربي الأفريقي.
  - اللجنة الدائمة للتعاون العربي الأفريقي.
  - لجنة التنسيق للتعاون العربي الأفريقي.
  - المحكمة الأفريقية العربية أو لجنة التوثيق والتحكيم.
  - المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا.
  - الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية.
  - المعرض التجاري العربي الأفريقي.
  - المعهد العربي الأفريقي للثقافة والدراسات الإستراتيجية.
  - وحدة تيسير تنفيذ خطة العمل المشتركة العربية الأفريقية للتنمية الزراعية والأمن الغذائي.
  - الاجتماع التشاوري العام بين مفوضية الاتحاد الأفريقي والأمانة العامة لجامعة الدول العربية.
  - الاجتماع العربي الأفريقي الوزاري المشترك للتنمية الزراعية والأمن الغذائي.

٥ - تنافس القوى الدولية والإقليمية

يمكن القول أن الحقبة الاستعمارية التي عاشتها القارة الأفريقية، ساهمت بشكل كبير ، في إضعاف الوجود العربي والإسلامي في القارة، عبر العديد من الأدوات السياسية والاقتصادية والثقافية، ورغم تباين مصالح وأهداف القوى الدولية الكبرى في القارة، إلا أن هذا التنافس ظل بشكل أو بآخر حجر عثرة أمام تطوير العلاقات العربية الأفريقية.

من جانب آخر، تشهد البيئة السياسية والاقتصادية فى إفريقيا فى العقد الأخير حالة من التنافسية العالية بين العديد من القوى الدولية والإقليمية الكبرى(الولايات المتحدة والصين والاتحاد الأوروبي والبرازيل والهند وإيران وتركيا

واليابان وإسرائيل).. وقد أخذت تلك التحركات في السعي إلى تأسيس أطر مؤسسية لتوثيق الروابط مع القارة الأفريقية مثل:

- القمة الأمريكية – الأفريقية
- القمة الأوروبية – الأفريقية
- منتدى التعاون الصيني الأفريقي
- المحفل الهندي الأفريقي
- القمة التركية – الأفريقية
- مؤتمر طوكيو الدولي للتنمية الأفريقية "تيكاد"

ولا يخفى حجم وكثافة العلاقات الأفريقية في مختلف المجالات مع هذه القوى الدولية والإقليمية بالمقارنة مع العالم العربي، فالنموذج الصيني فقط يدفع باستثمارات وتجارة بينية مع أفريقيا تقدر بنحو مائتي مليار دولار، كما أضحت تركيا وإيران لاعبان رئيسيان في العديد من الملفات الأفريقية، هذا بخلاف الدور الإسرائيلي التقليدي في قارة أفريقيا منذ حقبة الخمسينيات، والذي نما بشكل كبير مع مطلع الثمانينيات، عبر توثيق العلاقات الدفاعية والأمنية مع العديد من النظم الأفريقية، والتي تكللت بتمثيل دبلوماسي في أغلب دول القارة "٤٨ دولة أفريقية" .. ولعل جولة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الأخيرة لقارة أفريقيا تكشف حجم الصلات والعلاقات الإسرائيلية المتنامية مع أفريقيا.

٦ - تنامي خطر التهديدات الإرهابية في أفريقيا

تزايدت بشكل كبير خلال العقدين الماضيين حجم ومستوى التهديدات الإرهابية المشتركة للعرب والآفارقة، بما ساهم في التأثير السلبي على العلاقات بين الطرفين سواء ما يتعلق بتشويه صورة الدين الإسلامي لدى الطرفين، أو توجيه موارد الدول الأفريقية والعربية لمواجهة خطر الظاهرة الإرهابية، أو تقليص فرص الاستثمارات العربية بالقارة الأفريقية، وفي هذا الإطار يمكن القول أن الإرهاب أصبح بمنزلة حزام جغرافي يحيط بالقارة الأفريقية ، في الشرق جماعة شباب المجاهدين بالصومال، وجيش الرب في كينيا، والغرب جماعة بوكو حرام فى نيجيريا ، وشمالا تنظيم القاعدة فى بلاد المغرب العربى، وتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" فضلا عن ذلك عرفت السنوات الماضية ظاهرة القرصنة في شرق القارة وتهديد منظومة الأمن القومي العربي بالبحر الأحمر .

من جانب آخر، لم تعد المنطقة العربية بعيدة عن خطر الظاهرة الإرهابية سواء في شمال أفريقيا، أو العراق أو سوريا أو اليمن.

٧ - الصورة الذهنية السلبية في المدركات الشعبية لدى الجانبين

تكشف دراسات الصورة الذهنية، أن الصورة المتبادلة للشعوب العربية والأفريقية ما زالت في حاجة إلى جهود كبيرة لتصحيحها، وأن صورة الإنسان العربي في الذهن الأفريقي، والأفريقي في ذهنية العربي صورتان مشوهتان، حيث تبدو العديد من المدركات السلبية لدى الطرفين:(٩)

- صورة العربي تاجر الرقيق الانتهازي.
- نمطية الصورة السلبية لأفريقيا "العبيد" في وسائل الإعلام العربية.
- المدلولات والمدركات السلبية العربية عن الأفارقة "اللون والعرق".
- مسألة العنصر أو اللون هي أعقد المسائل في وجدان الإنسان الأفريقي.
- الصورة السلبية للأفارقة في الإعلام العربي.
- وصف العربي بأنه صاحب نظرة دونية للأفارقة.

٨ - غياب التنسيق الإعلامي العربي- الأفريقي

تكشف قراءة محتوى التناول الإعلامي بين دول القارة الأفريقية المختلفة والعالم العربي عن جملة من السمات أو المؤشرات أبرزها:(١٠)

- الاعتماد على المصادر الغربية الكبرى فيما يخص الأخبار والتقارير خاصة مصادر مثل : رويترز، وكالة الأنباء الفرنسية، الاسوشيتد برس، والصحف الأمريكية والبريطانية.
- التواجد المحدود لوكالات الأنباء الوطنية.
- الاهتمام الموسمي بقضايا العلاقات العربية - الأفريقية حيث يلاحظ تركيز التناول الإعلامي في مناسبات خاصة كالقمم الأفريقية - العربية، أو الزيارات الثنائية، أو الاجتماعات الفنية.
- تركيز محتوى الخطاب الإعلامي على القضايا الثنائية خاصة بين دول القارة المختلفة : المصرية / الاثيوبية، المصرية/ السودانية ، الاثيوبية / السودانية، الخليجية / الأفريقية.. فيما تغيب إلى حد كبير الرؤية الجماعية، وخاصة المرتبطة بالعلاقات العربية – الأفريقية.
- انكفاء إعلام دول القارة الأفريقية على القضايا الداخلية، وغياب البعد الإقليمي للتناول
- مشكلة اللغة، ذلك أن تعدد اللغات الإفريقية إلى جوار اللغات الإنجليزية والفرنسية تقف عقبة في سبيل تحقيق الوحدة الإعلامية العربية الإفريقية.
- غياب الأطر الإعلامية التنموية الأفريقية والعربية.

استراتيجيات وآليات تطوير العلاقات العربية – الأفريقية

يمثل العمل على صياغة رؤية عربية موحدة تجاه قضايا القارة الأفريقية، المدخل الأساسي لتطوير العلاقات العربية – الأفريقية، خاصة من قبل الطرف العربي، كما أن تفعيل دور الهياكل المؤسسية لتنظيم العلاقات بين الطرفين لا يقل أهمية في الوقت الراهن في ضوء الدور المتنامي للمؤسسات والتنظيمات الإقليمية العربية والأفريقية، وهنا تتجلى أهمية تطوير العمل على مستوى مؤسسة القمة، فضلا عن تطوير سياسات تنموية وثقافية وإعلامية تسهم في تطوير العلاقات بين الطرفين العربي والأفريقي...

١ - تغيير المدركات السلبية لدى الأفارقة عن العرب

من الأهمية بمكان تكثيف التواصل العربي- الأفريقي، بغرض تعديل الصورة الذهنية المشوهة لدى المواطن الأفريقي عن العالم العربي، وكذلك تغيير بعض المدركات السلبية في هذا الاتجاه، من خلال توظيف الأدوات التالية:

- تصحيح الصورة السلبية "النمطية" لأفريقيا في بعض سائل الإعلام العربية، والتراث الشعبي والثقافي.
- إنتاج أفلام وثائقية عربية يمكن من خلالها النفاذ إلى الذهنية الأفريقية، تؤكد على قيم ومفاهيم التعاون العربي – الأفريقي، ونبذ العنف والإرهاب(١١).
- إيلاء الزيارات الشعبية والطلابية المتبادلة الاهتمام الكافي لمحو آثار الصورة الذهنية السلبية لدى الطرفين.
- توظيف دور الحواضر والعواصم العربية والأفريقية الكبرى للشروع في تبني نهج حضاري "عربي- أفريقي" يؤسس لمرحلة جديدة من التعاون بين الطرفين.. كما أن وجود دول "أفروعربية" تجمع بين عضوية المنظمتين العربية والأفريقية يمكن أن يمثل دافعاً قوياً لمسيرة التعاون، خاصة وأن هذه الدول منها دول رائدة ولها ثقلها العربي ولها وزنها الأفريقي(١٢).
- ترجمة التراث الفكري للزعماء الأفارقة "سيكوتوري – كيتا – سنجور –نكروما" الرافض للدعوات العنصرية ضد العرب والمسلمين.

٢ - تطوير إستراتيجية إعلامية عربية - أفريقية لدعم العلاقات وذلك من خلال:(١٣)

معالجة الاختلالات الحادثة في العلاقات الإعلامية العربية – الأفريقية، والمتمثلة في الاعتماد على المصادر الغربية الكبرى في الحصول على المعلومات والأخبار.

- التوسع في فتح مكاتب لوكالات الأنباء الوطنية والصحف العربية والأفريقية.
- التوسع في فتح مكاتب إعلامية وثقافية وصحفية بين العالم العربي وأفريقيا.

- تغليب الرؤية الجماعية "العربية والأفريقية" للقضايا المشتركة خاصة ما يتعلق بمكافحة التنظيمات الإرهابية، وتبني خطاب إعلامي يعلي من قيم التعاون المشترك والتنمية المتبادلة.
- تفعيل آلية التعاون الإعلامي المشترك.
- تقديم الدعم العربي "التمويلي" لمشروع القناة الفضائية الأفريقية، باعتباره أحد أبرزأدوات التواصل الإعلامي بين الجانبين.
- بناء استراتيجية إعلامية متكاملة تضم كافة المكونات الحضارية المشتركة: الثقافية والسياسية والتعليمية والدينية، وتنسق بين الأطر الإقليمية والوطنية.
- ضرورة أن تتسم تلك الاستراتيجية الإعلامية بسمات: الاستمرارية، والتوازن، والواقعية، والمصداقية.
- الضبط الموضوعي للمسميات الإعلامية، خاصة ما يتعلق بالتنظيمات "التكفيرية" ونفي صفة "الإسلامية" أو "الجهادية" عنها.
- تطوير أطر وآليات "الإعلام التنموي" باعتباره نشاطا إعلاميا هادفا يسعى بالارتقاء بالعلاقات بين الطرفين، وينهض على تبني قيم ومفاهيم "الأمن الإنساني".
- تفعيل دور مراكز البحث الإعلامية العربية والأفريقية المختلفة لدعم وتعضيد العلاقات البينية .

٣ - تفعيل التعاون الثقافي كآلية لتطوير العلاقات العربية الأفريقية

على الرغم من التاريخ الثقافي العريق بين الجانبين العربي والأفريقي، إلا أن العلاقات الثقافية العربية الإفريقية ظلت تراوح نطاقها الضيق؛ فلم تقم الجامعة العربية بسياسة موحدة تجاه الدول الإفريقية، ولم يفرز مؤتمر القمة العربية الإفريقية الأولى بالقاهرة هياكل مؤسسية للعمل العربي الإفريقي المشترك والمتبادل، كما أدركت الدول الإفريقية أن التوجهات العربية توجهات مؤقتة، لذلك حدث تحول ملحوظ في طبيعة العلاقات العربية الإفريقية، وسادت الرؤية الواقعية والاتجاهات الفرديةً، على حساب العمل الجماعي المشترك، ومن هنا تبدو أهمية تطوير المدخل الثقافي لتطوير العلاقات العربية – الأفريقية من خلال الآليات التالية:

- طباعة الانتاج الفكري الأفريقي باللغات الأفريقية الشهيرة كالسواحيلي والأمهري والهوسا والفولاني[١٤].
- العمل على إحياء التراث الأفريقي في المؤسسات الثقافية العربية، واستحداث جوائز للآداب والفنون الأفريقية.
- توثيق الصلات باتحادات الكتاب وجمعيات الفنون والنقابات السينمائية في مختلف دول القارة.
- إدخال مقررات دراسية عربية في الجامعات الأفريقية، والعكس في الجامعات العربية، وذلك في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية.

- تبادل الزيارات وأعضاء هيئات التدريس مع فتح قنوات علمية مع الجامعات والكليات المناظرة على الجانبين.
- تعظيم رسالة الأزهر الشريف كمنبر وسطي للإسلام المعتدل ليس في مصر وحدها، بل في العالم العربي وأفريقيا، واحترام تراث هذه المؤسسة العريقة.
- إبراز تأثير اللغة العربية في اللغات الأفريقية مثل الصومالية والهوساوية، وكذلك إسهام اللغة العربية بشكل مباشر في ظهور لغات أفريقية جديدة مثل السواحيلي في شرق أفريقيا والتي تعد نتاجا للتفاعل والتمازج بين العربية والتركيبات اللغوية الأفريقية(١٥).
- تفعيل الدور التنويري والتعليمي للجامعات العربية في المحيط الأفريقي من خلال فتح فروع لها في القارة، وتفعيل بروتوكولات التعاون العلمي.
- فتح المجال أمام طلاب البعثات الأفارقة بمصر والعالم العربي لدراسة العلوم التقنية والتنموية، بما يساهم في جعل هؤلاء الطلاب عناصر اجتماعية فاعلة مع محيطها الأفريقي المفتقد للتنمية، مع العمل على ربط البرامج الدراسية بالعنصر التدريبي(١٦).
- تفعيل دور جمعيات الصداقة بين الشعوب العربية والأفريقية، وتوقيع بروتوكولات تآخي بين المدن العربية ونظيرتها الأفريقية.
- توثيق التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني الأفريقية.
- دعم جهود المؤسسات العلمية العربية التي تعمل في حقل الدراسات الأفريقية، مثل معهد البحوث والدراسات الأفريقية وجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم، والتي يدرس بها سبعة آلاف طالب من أكثر من ٤٠ دولة أفريقية.
- إنشاء لجان للتواصل الطلابي داخل الجامعات العربية لتوثيق الروابط والصلات مع الطلاب الأفارقة.

٤ - تطوير دور المعهد الثقافي الأفريقي- العربي

نشأت فكرة إقامة معهد ثقافي عربي أفريقي تنفيذاً لدعوة القمة العربية الأفريقية الأولى (القاهرة : ١٩٧٧م)، لتعزيز الصلات الثقافية بين دول المجموعتين بغية تحقيق تفاهم وتعاون أفضل بين شعوبها، وتجسيداً للإرادة العربية الإفريقية المشتركة في إيجاد إطار مؤسسي يعنى بكل ماله صلة بدعم العلاقات الثقافية بين العرب وإفريقيا.

ووافقت اللجنة الدائمة للتعاون العربي الإفريقي في دورتها السادسة (تونس : ١٩٨٨ م) على مشروع النظام الأساسي للمعهد الثقافي العربي الإفريقي الذي تقدمت به الأمانتان العامتان لجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية، كما صادق عليه مجلس الجامعة ١٩٨٣م ومجلس المنظمة ١٩٨٥م، وقد تم التوقيع على اتفاقية إنشاء المعهد في يناير ١٩٨٦م بدمشق في إطار اجتماعات الدورة الثامنة للجنة الدائمة للتعاون العربي الإفريقي.

يقوم عمل المعهد على تحقيق الأهداف التالية:

- تشجيع وتعزيز التقارب بين الشعوب العربية والإفريقية.
- تشجيع إجراء أبحاث عن العلاقات العربية الإفريقية .
- إنشاء مراكز أبحاث ومراكز ثقافية عربية إفريقية والتنسيق بينها والاهتمام بتدريب العاملين المطلوبين .
- تنظيم الندوات ومهرجانات تكون ملتقى لرجال الثقافة والعلم والشباب ورجال الجامعات والقيام بنشر الأعمال التي تسفر عن هذه اللقاءات.
- جمع وحماية ونشر التراث الثقافي.
- تنظيم تبادل الأساتذة والطلاب من خلال برامج المبادلات الثقافية.

وقد انتبه "ألفا عمر كوناري" رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي، في أكتوبر ٢٠٠٦، لبحث تطوير المعهد الثقافي الأفريقي- العربي القابع دون إمكانيات في "باماكو" عاصمة جمهورية مالي، ليصير معهداً للدراسات الاستراتيجية العربية-الأفريقية، وليطور مهامه من دور التعريف والتقارب على أساس ثقافي له تراثه وعناصره الحية إلى دور بحث المعوقات الحقيقية لنمو هذه العلاقات وجدواها للكتلتين في عالم تتطور فيه الظواهر عبر القفزات لا مجرد التطورات التقليدية . وفي هذا السياق، يطالب المفكر حلمي شعراوي، أحد رواد العمل الأفريقي في مصر ، أن تشمل الدراسات الاستراتيجية لمثل هذه العلاقات التعرف على إطارها الدولي أولاً، والمصالح التي تقف وراء هذا الطرف أو ذاك، وإلى أي حد هي مصالح محلية إقليمية يمكن التفاوض حولها أو مصالح عالمية بعيدة المدى في مطالبها[١٧] .

٥ - تنسيق التعاون بين التكتلات الفرعية العربية والأفريقية

يشهد الواقع المعاصر تعدد التكتلات والتجمعات الفرعية العربية والأفريقية ، خاصة في شقها الاقتصادي، لذلك قد يكون توثيق التعاون العربي الأفريقي من خلال هذه التجمعات الفرعية، أكثر فاعلية وتأثيرا عن تركيز التعاون العربي الأفريقي على المنظمتين الأم (الجامعة العربية والاتحاد الأفريقي) .. وفي هذا السياق تبدو في المرحلة المقبلة أهمية تجمعات مثل : الكوميسا – السادك – الايكواس – الايكاس – الايجاد- البرلمان الأفريقي.

وعربيا تبدو منظمات مثل : مجلس التعاون لدول الخليج العربية - واتحاد المغرب العربي، علاوة على دور بعض المنظمات العربية المتخصصة.

٦ - التنسيق الأمني والاستخباراتي لمواجهة الظاهرة الإرهابية

في ظل تنامي الظاهرة الإرهابية وتهديدها للمحيطين العربي والافريقي، أضحى تنسيق التعاون بين الجانبين من الأهمية بمكان لاحتواء هذه التهديدات من ناحية، والحفاظ على مقدرات الدولة الوطنية من ناحية، وفي هذا السياق

تبدو أهمية تطوير الآليات التالية:

- تفعيل قرارات جامعة الدول العربية والاتحاد الأفريقي الخاصة بمكافحة الإرهاب.
- وضع آلية تنسيقية دائمة للحوار الأمني العربي الأفريقي[١٨].
- صياغة استراتيجية تعاون معلوماتي واستخباراتي.
- تطوير آليات التدريب في المجال الأمني.
- ايلاء أمن الممرات – خاصة البحر الأحمر- الأهمية المناسبة من قبل الطرفين.

٧ - تطوير منظومة الاستثمارات العربية في أفريقيا وتفعيل أدوات التعاون الاقتصادي

يمثل الاقتصاد قاطرة التنمية لتطوير العلاقات العربية الأفريقية، ويمكن من خلال البعد الاقتصادي الحفاظ على المصالح الاستراتيجية للطرفين بعيدا عن دعاوى الايدولوجيا، وتغير الأنظمة السياسية، ورغم التطورات الاقتصادية الايجابية التي تعيشها قارة أفريقيا في السنوات الأخيرة "خمس دول أفريقية من ضمن أسرع عشر اقتصادات نموا بالعالم، كما أن أفريقيا تحقق أعلى عائد على الاستثمار مقارنة بأي منطقة أخرى في العالم " إلا أن المقاربات الاقتصادية العربية تجاه أفريقيا لا زالت قاصرة على الأطر التقليدية وفي مناطق بعينها "شرق أفريقيا وحوض النيل"..

من جانب آخر، تكشف المؤشرات الاقتصادية بين الطرفين عن أرقام لا ترقى إلى حجم العلاقات التاريخية بين الطرفين (تمثل واردات الدول العربية من دول أفريقيا جنوب الصحراء ٣,٦% من جملة الواردات العربية ، بنحو ١٤,٧ مليار دولار عام ٢٠١٢، فيما تبلغ صادرات الدول العربية نحو ٢% بقيمة ٢٢,٥ مليار دولار)[١٩].. لذلك من الأهمية بمكان، تبني بعض الأهداف الاقتصادية في المرحلة المقبلة تنهض على:

- زيادة حجم التبادل التجاري فوق نسبة ٣% .
- تنسيق السياسات الاستثمارية العربية في أفريقيا خاصة الخليجية.
- إعادة توظيف رأس المال العربي في قارة أفريقيا " جهاز أبوظبي للاستثمار- الصندوق السيادي الكويتي والقطري- الصندوق السعودي للتنمية".
- تطوير التشريعات لدعم الانفتاح الاقتصادي على قارة أفريقيا.
- التوسع في المعارض التجارية في قارة أفريقيا.
- توسيع اتفاقيات التجارة الحرة الثنائية ومتعددة الأطراف.
- مساعدة الدول الأفريقية على إزالة العديد من المعوقات التي تعترض تدفق الاستثمارات العربية مثل[٢٠]:
  - معوقات إدارية تتعلق بالإجراءات والقوانين والنزاعات القضائية.

- معوقات تتعلق بنقص الكفاءات البشرية المدربة.
- معوقات اقتصادية وهيكلية ومالية.
- ضعف البنية التحتية .
- المعوقات المتعلقة بالمخاطر السياسية ونقص الضمانات.

- مساعدة المستثمرين العرب بتوفير المعلومات الضرورية حول فرص الاستثمار في أفريقيا.
- صياغة الآليات اللازمة لتخفيض وإدارة المخاطر الناجمة عن الاستثمار (اتفاقيات ثنائية ومتعددة لتشجيع الاستثمار ومنع الازدواج الضريبي).
- الاستفادة من التجارب الاقتصادية الناجحة للشركات الخاصة العربية وغير العربية.

المصادر

١. راوية توفيق ، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، الجزيرة نت ،(ملف خاص) ٢٠٠٤.
٢. د. حمدي عبد الرحمن حسن، "العلاقات العربية الأفريقية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة: نحو إطار إستراتيجي جديد للقرن الحادي والعشرين"، (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٠).
٣. محمد أحمد المقداد، واقع العلاقات العربية – الأفريقية في ظل سياسات التنافس الدولي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩.
٤. د. أماني الطويل ، العلاقات العربية الإفريقية .. ملامح المشهد وتحديات التقارب، موقع سودانيل، فبراير ٢٠١٢.
٥. المرجع السابق.
٦. محمد أنور، القمة العربية –الأفريقية الثالثة بالكويت، دورية آفاق أفريقية، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، العدد رقم ٤٠ مايو ٢٠١٤.
٧. د. حمدي عبد الرحمن حسن، "العلاقات العربية الأفريقية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، مرجع سابق.
٨. المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا.
٩. سالم علي محمد كتي العلاقات الثقافية العربية الإفريقية حتى ١٩٩١، الحوار المتمدن، ٢٠١٠.
١٠. رمضان قرني محمد، الإعلام وتنمية دول حوض النيل، دورية الحوار، القاهرة : مركز الحوار للدراسات السياسية والإعلامية، أكتوبر ٢٠١٤.
١١. رمضان قرني محمد ، دور الإعلام في مكافحة الإرهاب في قارة أفريقيا، القاهرة، معهد البحوث والدرسات الأفريقية، ضمن أعمال: التحديات الأمنية والاقتصادية الراهنة في أفريقيا، ٢٠١٦.
١٢. د. الخضر عبدالباقي، العرب وصورة أفريقيا، مقاربة أولوية في الملامح، مجلة قراءات إفريقية - العدد الرابع - ذو الحجة ١٠٤٣هـ / سبتمبر ٢٠٠٩م
١٣. حول تطوير استراتيجية إعلامية عربية – أفريقية، راجع:
   - رمضان قرني محمد ، الدور الإعلامي المصري في قارة أفريقيا، القاهرة: وزارة الثقافة المصرية، ٢٠١٤.
   - سالم علي محمد كتي، العلاقات الثقافية العربية الإفريقية ، مرجع سابق.
   - د. الخضر عبدالباقي، العرب وصورة أفريقيا، مرجع سابق.
١٤. د. إبراهيم نصر الدين، التعاون العربي الأفريقي المدركات-السلوك-الإمكانات" دورية آفاق أفريقية القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠٠٢.
١٥. د. عبدالرحمن الصالحي، مستقبل العلاقات العربية الأفريقية ، الجزيرة نت ، (ملف خاص) ٢٠٠٤ .
١٦. رمضان قرني محمد، آفاق التعاون الثقافي والإعلامي بين مصر وقارة أفريقيا، دورية آفاق أفريقية، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، العدد رقم ٤٣ ، ٢٠١٥.
١٧. حلمي شعراوي ، نحو رؤية استراتيجية للعلاقات العربية- الأفريقية، صحيفة الاتحاد الإماراتية، ١٤ نوفمبر ٢٠٠٦.
١٨. الدكتور مصطفى عثمان اسماعيل ، محاضرة في مقر المنتدى العالمي للوسطية، ٢٠١٢
١٩. المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا.
٢٠. محمد أنور، القمة العربية –الأفريقية الثالثة بالكويت،مرجع سابق.